المرأة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني الأول (27 ق.م – 284 م)

أ. **بنت النبي مقدم،**
قسم التاريخ،
جامعة الجزائر.

عرفت المرأة في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني وبالأخص الأ ول (27ق.م – 284م) مكانة غير ثابتة في المجتمع إذ لا يمكن الجزم بأنها مكانة عالية ولا بأنها منحطة، حيث كانت تختلف بين طبقة وأخرى وحتى بين نساء نفس الطبقة، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال المصادر الأدبية و المعطيات والمخلفات الأثرية سواء كانت نقوشاً أو بعض المصابيح التي تصور المرأة كائنا ضعيفا، سهل المنال مثلما يلاحظ من خلال العديد من المصابيح التي عثر عليها والموجودة بمتحف قرطاج (Le Bohec . Y, 2005, : XXXV, Fig 59).

والجدير بالذكر أن النقوش تعطينا صورة أكثر وضوحا وتنوعا واختلافا من نموذج لآخر عن تلك التي يعطيها لنا كلا من الوثني أبوليوس"Apuleius Lucius" (125م؟- 180م؟) من مداورش (Madauros) والمسيحي تارتوليانوس القرطاجي " Quintus septimus Florus Tertullianus " (160م؟– 240م؟) ؛ وإذا كانت النقوش التشريفية لبعض النسوة بين القرن الأول والثالث الميلادي تشير لمكانة سيدات المجتمع ببلاد المغرب ومكانتهن الإجتماعية ودورهن الثقافي الذي لعبنه في المجتمع وخاصة الاقتصادي، فإن النقوش الجنزية تخبرنا عن دور المرأة الأسري وعن قيمتها ومكانتها في العائلة حيث تشرف على البيت كزوجة وأم ، وهو الدور و المهمة المقدَّ سة آنذاك للمرأة والذي لم تكن تستحقه سوى النساء الحرائر، فما ترونا"Matrona" في اللغة اللاتينية تعني أم العائلة ، سيدة مجمع ، سيدة محترمة ، وهي مشتقة من ماتريس" Matris " وماترابوس"Matrabus" أي إلهة المكان المكلَّفة بحمايته (Benoist.E ; Golezer. H, 1892 : 882).

وإذا كانت النقوش تصور المرأة على أنها أم العائلة "Mater Familias" "، وربَّة البيت وسيدة "Domina" وحارسة الأسرة ،أوالكوستوس "Custos" ، وتارتوليانوس بنفسه يشهد على هذا الأمررغم انتقاده للمرأة آنذاك، بقوله بأنه لا يوجد بيوتا أكثر تنظيمًا وإدارة من بيوت الرجال المتزوجين ، في حين كل شيء سيئ لدى العزاب منهم، فمنافع الخصيان تنتهي، وثروات الجنود تبدد، والمسافرين دون زوجات محطمين (De exhort, Cast : II, 12) ، إلا أن المصادر الأدبية تحطم أحيانا هاته الصورة الجميلة للمرأة والنموذج الفاضل المزركش بالأخلاق الذي يحب ويتفانى من أجل الغير سواء في الأسرة أوالمجتمع ، كما سنرى من خلال بعض النماذج لاحقا على سبيل المثال لا الحصر، محاولين إظهار دور المرأة في الأسرة والمجتمع.

فهذا أبوليوس Apuleius" " يصف زوجة وإبنة أحد خصومه هيرنيوس روفينوس "Herennius Rufinus" ووالد زوجة بونتيانوس "Pontianus" (لوكيوس أبوليوس . 2004: 8-11) ، و بونتيانوس هو إبن بيدونتيلا""Emlia Pudentilla زوجة أبوليوس "Apuleius " في دفاعه " Apologia " عن نفسه من تهمة السحر بأبشع الصفات الأخلاقية وينوه بسيرتها في المجتمع والمدينة بأحط النعوت (Apulée, Apol : XXV-LXXVI).

وهو إذ يشير لهذا الأمر في دفاعه عن نفسه حين اتهم بممارسة السحر والشعوذة ليوقع ببدونتيلا في شراكه وحبه، إنما يعرف أن الإشارة إلى شخص بممارسة الدعارة دون تصريح ، إذا كان مواطنا تعرضه للمساءلة القانونية(Cod.Theod: IX,9) بتهمة القيام وأيضا الإخلال بالأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يتصف بها المواطن ويتميز بها عن العبد، خاصة وأن مهنة الدعارة لم يكن مسموحا بها للمواطنين وإنما فقط للعبيد ، وأما للمواطن الذي يريد القيام بها فعليه التصريح بذلك رسميا أمام هيئة القضاة، حتى لا يتعرض للعقوبة (Ladjimi sebai . L (a) . 1999, :11).

ويتحدث تارتوليانوس "Tertullianus" (حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي) عن النساء اللائي يتصفن بالتبرج والطيش والتبذير والوقاحة والإنفاق والمجون والفسق والمرأة هي "بوابة الشيطان" بالنسبة له (De Cult.fem :I ,1) حتى أنه يرى أنه لم يعد هناك ما يميز السيدة "matrona" عن العاهرة سوى اللباس ، فسيدات المجتمع كن يلبسن الستولا "Stola" التي تميزهن عن بقية النساء ولكنهن أصبحن يضعن الكثير من الحلي والمجوهرات ويتبرجن مثلهن مثل الساقطات (Tertullien, Apologétiqu : IV ,3) ؛ و الستولا"Stola" لبا س السيدات المحترما ت في العهد الروما ني وهو فستا ن طويل يغطيها حتى قدميها يوضع فوق القميص الداخلي وبه حزام يعقد تحت الثديين أو على مستوى الخصر، يمسك عند الكتفين بأبازيم إذا كا ن دون أكما م، وأما إن كا ن بأ كما م غير مخا طة فيمسك طرفي الكم بالأبازيم على طول الذراع مع ترك فتحا ت ليظهر من خلالها، مما يعطي للسيدة مظهرا أنيقا ، وكان مجلس الشيوخ الروما ني يعا قب السيدة التي تظهر من دونه أمام العامة (De pallio : 4 ; Daremberg. CH, Saglio. Ed : 1522).

كما يرى تارتوليانوس أيضا أن بعض النسوة بلغ بهن حب البهرجة والسطحية لدرجة أنهن بددن بسهولة ثروات أزواجهن رغم أنها ليست ملكا لهن (Ad uxor : I, 4) والنسوة اللواتي يذكرهن تارتولبانوس هن في غالب الأحيان «ثرثارات، كسولات، مدمنات على الخمر، عاشقات للترف» ((Ad uxor : I, 8 ويضيف أن الخمر كان محرما قبل عهده على النساء تحريما قاطعا يصل حد الموت ويذكر حادثتين سبقت عهده فقد حكم على امرأة بالموت جوعا من قبل مجلس العائلة لأنها خربت أدراج قبو الخمر، وقتلت أخرى من قبل زوجها متنيوس "Metennius" لأنها تذوقت الخمر فقط ،

ولذلك كان لزاما على النسوة تقبيل أقاربهم حتى يعرفوا من رائحة أنفاسهن إن كن تناولن الخمر أو تذوقنه...أما اليوم..فالنسوة تقبلن دون خوف من تأثير الخمر (Tertullien, Apologétique :VI,4,56 ; Ladjimi sebai .L,(a). 1999 : 05) .

ولأن تارتوليانوس رأى أن النساء وقعن في الخطيئة اقترح عليهن إتباع منهاج آخر يستطعن به التفكير عما وقعن فيه ويصبحن أكثر جمالا ورونقا في رسالته عن زينة المرأة «De Cult Feminarum» حيث يقول في جزء منها (Decult, Fem : II, 12) : «اتخذن من البساطة بياضكن، ومن العفة حمرتكن، ومن التواضع كحل أعينكن، ضعن الصمت على شفاهكن، علقن كلام السيد في آذانكن، في رقابكن نير المسيح، عليكن بإحناء رقابكن طاعة لأزواجكن ، وها أنتن مزينات بما فيه الكفاية. أ شغلن أيديكن بغزل الصوف، وقيدن أرجلكن في بيوتكن، وبهذا تصبحن أكثر جاذبية وسحرا مما لو تزينتن بالذهب. ولتكن الاستقامة حريركن، والقداسة لباسكن، والاحتشام أرجوانكن، فبمثل هذه الزينة والحلي تفزن بالله حبيبًا».

ولو تأملنا قليلا في بعض نماذج النقوش سواءا التشريفية أو الجنزية لوجدنا نموذج هاته المرأة التي يريدها تارتوليانوس في رسالته ؛ وحسب دراسة جاكلين كرابيا (Carabia. J. 2005 :21-22) فإن الطاعة كانت من صفات المرأة في العهد الروماني بإفريقيا حسب النقوش دوما، وسياسة أوغسطس الداعية بالعودة للأخلاق كان لها أثرها في إفريقيا، وليس هذا فحسب بل إن النقوش التي تشير لأخلاق وصفات المرأة كثيرة و متنوعة ، وتصور لنا بعض النماذج التي تبين دورها في الأسرة والمجتمع، ورغم تداخل أداور هاته النماذج مع بعضها البعض إلا أننا سوف نحاول أن نذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر.

1 – المرأة الزوجة بوستوميا

ماترونيلا "Postumia Matronilla" من فريانة (Thelepte) ، اجتمعت فيها تقريبًا كل الصفات الحسنة " زوجة لا تقارن، أم صالحة، تقية، جدة، محتشمة وعفيفة، مجدة ونشيطة، عاقلة وفعالة، حذرة ومتيقظة، دائما في نشاط وعمل، زوجة رجل واحد ولم تعرف رجلا غيره، ماتت وعمرها 53 سنة و05 أ شهر و03 أيام" (ILS, 8444) ، ونقيشتين أخريتين تشيران لأخلاق ميتة في مداورش (Madauros) ؛ أنتونيا فكتوريا "Antonia Victoria" ماتت وعمرها 43 سنة، وكانت «تقية، ورعة، قنوعة وبسيطة، حكيمة ومتعقلة ،ذات أخلاق جذابة» (ILS, 8452)، ونفس النعت بالنسبة لأرينيا فيكتوريا بعين الحجة (Agbia) بتونس حاليا، المنعوتة بصاحبة الأخلاق الجيدة (ILS, 8446) ، ويوليا روغاتا"Iulia Rogata" التي جعلتها طاعتها تعيش 40 سنة مع

زوجها أبيوس دوناتوس "G. Appius Donatus" من التوافق والتفاهم التام بعد أن تزوجته في سن 15 وماتت وعمرها 55 سنة (A. E.,1992, 80, 906 ; Gsell. S. 1893 : 109) .

2- المرأة الأم :

على عكس ما هو معروف اليوم فإن المرأة لم تشكل في القديم نصف المجتمع بسبب أن أغلبهن كن يمتن أثناء الولادة ، وبصفة عامة يمكن القول أنها اعتبرت كائنا غير كامل وأقل مكانة من الرجل بسبب الأمراض الكثيرة حسب الأطباء والفلاسفة آنذاك (Gourevitch. D. 1984 ; Bohec. Y. 2005 : 61) والتي كانت تجعل المرأة تكبر قبل أوانها عن الرجل سواءا منها الأمراض المعنوية أو الجنسية وحتى الجسدية (Gourevitch. D. 1984 : 71-83 ; André. J. 1987 : 129) ، ورغم ذلك فإن هذا لم يمنعها من تأدية رسالتها المنوطة بها كي تصبح أمًا، خاصة وأن هاته الزوجة التي يجدر بها أن تكون أمًا كانت تختار بمقاييس وشروط معينة ، لأنه في نظر الرجل في العهد الروماني الأول كان هناك نوعان من النساء : نوع يصلح لأن تكون زوجة وأ م، وآخر لا يصلح لذلك (Gourevitch. D. 1984 : 105) وفي حالة عدم الإنجاب يتم الطلاق حتى وإن كان الزوج يحب زوجته.

ونلاحظ أن هاته الوضعية والأحكام على المرأة قد ا ستمرت حتى في العهد الإمبراطوري الثاني من العهد الروماني (284م – 476م) رغم انتشار الدين المسيحي ويتجسد ذلك بوضوح مع خليلة أوغسطين"Augustinus"حسبما ذكره في اعترافاته (Confessions,IV,2) ورفض والدته مونيكا "Monica" لأن تكون تلك الخليلة زوجة له رغم وجود طفل بينهما ، وخطبتها له فتاة أخرى (Confession :, VI, 15, 25 ; Madec. G. 2008 : 7-9) وبرغم انفصال أوغسطين عن خليلته إلا أنه أخذ إبنه أديود ا "Adéodat" ليتكفل بتربيته، فالأطفال كانوا مهمين جدا للرجل آنذاك ؛ حتى أن الزواج كثيرا ما كان لأجل الإنجاب (André. J, 1987, p 128-129) ، ولذلك حرم على المرأة الإجهاض قانونيًا (Cod. Théod : XVI, 10) ، واعتبر لاحقا قانون ثيودوز الإجهاض إحدى جرائم قتل الأطفال ، وأما دينيا فإن "منع الولادة هو التعجيل بالقتل"(Tertullien, Apologétiqu : IX, 8 ; Robert. J-N. 1997 : 346-347).

وكانت المرأة تحب إنجاب الأولاد حتى وإن أثر ذلك على صحتها أو حياتها، كتلك السيدة التي وصفت بالعظيمة لكونها أما و زوجة صالحة، وقامت بالكثير من المهام في حياتها، السيدة روبريا فيستا "Rubria Festa" من شرشال (Caesarea) ، ماتت وعمرها 36 سنة وهي تضع مولودها العاشر، وهي من كانت ترضع رضيعها حتى يبلغ السنتين (CIL, VIII, 9162) وكانت فلامينا "Flamina" أي كاهنة (173n°22 : (a) Briand-Ponsart.C. 2003,) وأما سارجيا عمارا "Sergia Amara" فقد توفيت وعمرها 37 سنة تاركة وراءها سبعة أولاد وبنت، في حين سولبيكيا فيكتوريا " Sulpicia Victoria" ، من سور الغزلان (Auzia) فتوفيت وهي أم لعشرة أولاد (CIL, VIII, 9162).

هذا ولم تكن الزوجة أبدا تتردد عن الولادة إن لم تكن عقيمة خاصة وأن العقم اعتبر دوما أنثويا وعلى المرأة المتابعة المستمرة مع القابلة لمداواتها (André. J, 1987, p 129) ، ولذا فإن لم يترغب سيد البيت في الطلاق للزواج من أخرى يتم تبني طفل أو طفلين أو أكثر إن شاء وزوجته ذلك، ففي قرطاج تشير النقيشة المأتمية ليوليا أولتريكس "Iulia Ultrix" إلى رضع "alumni" قامت بتبنيهم هاته السيدة، وفي تيمڤاد (Thamugadi) أيضا تشير النقيشة التشريفية التي تمت بها تهنئة الزوجين من عائلة سيرتي "Sertii" لتبنيهم طفلين ، وبشرشال (Caesarea) حالة أخرى تبين تبني السيد أتيوس أبولتونيوس "Q. Attius Appolonius" لطفلة ،وابنته أيضا قامت بتبني واحدة وكلا الطفلتين المتبنيتين توفيتا في وقت واحد، لكن لم يذكر سبب الوفاة (Hoerni. C. 2008 : 95) ؛ وبسور الغزلان (Auzia) نصبت السيدة أولبيا بوتيولانا "Ulpia Putiolana" نصبين متشابهين، متقابلين أهدت واحدا لإبنها المتبنى وقد توفي وعمره 06 سنوات والآخر لإبنتها المتبناة والتي توفيت وعمرها 09 سنوات (IL, Af,9172 ; 9173).

ونشير إلى أن بعض العائلات كان لديها أطفال لكن رغم ذلك كانت تقوم بالتبني لأن بعض النقوش تشير الى الوالدين والأطفال الشرعيين والمتبنيين، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف ومن أين كان يتم التبني؟ لأننا لا نعرف إن كان يتم توثيق ذلك رسميا أم لا! وهؤلاء الأطفال المتبنين، هل هم شرعيون أم غير ذلك؟ - خاصة إذا علمنا أنه كان يتم أحيانا التخلي عن أطفال شرعيين بسبب عدم القدرة على تربيتهم وتوفير طعامهم من قبل أولئك الفقراء، أما بالنسبة لأولئك الأغنياء فكانوا يتخلون عن أطفالهم أحيانا بسبب سياسة وقانون الإرث ولذا كانوا يحبذون تحديد العدد وعدم الإكثار من الأطفال وكانوا يفضلون الإبقاء على الأولاد والتخلي عن البنات خاصة الكبرى منهن (Puccini-Delbey.G.2007: 260) .

3- المرأة الملاكة :

أثبتت النقوش أن منطقة بلاد المغرب القديم عرفت الكثير من النساء الملاكات اللواتي استطعن الحفاظ على ثرواتهن بل أحيانا تكوينها وتنميتها، وذلك لأن النساء الملاكات لأراضي بمساحات كبيرة و ثروات لا بأس بها وأحيانا طائلة لم تكن فقط من ذوات الأصل الغني اللواتي ورثن الثروة والأرض عن آبائهن وإنما أحيانا كن من أصل متواضع بسيط (Briand- Ponsart.C .2003, (b) : 80) لأنه في العهد الإمبراطوري الأول لم يعد هناك ما يمنع المرأة من الإرث قانونا لأن النساء من أصل ثري أصبحن يتزوجن بطريقة السين مانو "Sin manu" بمعنى تحافظ على علاقة الرابطة والإسم العائلي لها وليست تابعة للزوج ولا لسلطته، ولذا يحق لها أن ترث من والدها مثلما يرث إخوانها من الذكور.

ويعرف أيضا أنه قانونيا مع العهد الأوغسطي أصبحت المرأة ذات استقلالية كبيرة وحقوق مساوية لحقوق الزوج، كما أنه لا يحق للمرأة أن تورث أبنائها إلا إذا حررت وصية بذلك، تماما مثلما فعلت بيدونتيلا زوجة أبيلي من مداورش (Apulée, Apol : XCIII, 4, LXXII, 6) مع ولديها بيدونس "Pudens" وبونتيانوس "Pontianus" حين أعطتهما ما يمكنهما من العيش (Apulée, Apol : XCIV, 1) خاصة وأنها كانت من أثرياء طرابلس (Oea) أي "Locuples Femina" حسبما وصفها زوجها (Apulée, Apol : XCII, 3).

كما اعتبرها كذلك من النساء الذكيات لأنها استطاعت تنمية ثروتها بنفسها بل وأيضا تنمية إرث ولديها (Apulée, Apol : LXX, 6). وهي التي كانت تنظم استثماراتها الزراعية وتربية قطعان الأغنام والأبقار وحتى الخيول. وكانت تستخدم عبيدها كيدٍ عاملة زراعية، خاصة وأنه كان لها عدد كبير منهم لأنها عدا عن اليد العاملة التي تستخدمها في الضياع وخدمة الأرض والمنازل الخاصة بها المنتشرة في مناطق مختلفة بإقليم طرابلس (Apulée, Apol : XCIII, 4, LVI, 5) فإنها تنازلت لولديها عن 400 عبد لخدمتهما (Apulée, Apol : XCIII, 4).

ويذكر أبيلي كل شيء عن ثروة زوجته وعن تسييرها، ويوضح أن عائدات الأرض هي الأساس في ثروة بيدونتيلا التي كانت تحاسب وتدقق في الحسابات مع المزارعين "Uilici" والبقَارين "Upsoliones" وسواس الخيل"equisones" (Pavis, 88 : 2003 . Briand- Ponsart, C,(b) d'Escurac. H.1974: 94 -95).

كما كانت في المناسبات تكرم سكان طرابلس (Oea) مثلما فعلت في عرس إبنها بونتيانوس حيث أهدت لسكان المدينة عطايا "Sportulae" بقيمة50.000 سيسترس، وكذلك الأمر حين بلغ ابنها الأصغر وارتدى لباس الرجولة (Apulée, Apol : LXXXVI, 710).

ويشير إلى أن ثراء بيدونتيلا هو الذي كان وراء تخوف عائلتها من زواجها بأبيلي الأصغر منها سنا وهو ما جعل إبنها الأكبر بونتيانوس يعود من روما ووالد زوجها يرغب في تزويجها من أحد أبنائه حتى لا تخرج الثروة من العائلة، ويرى بعض الباحثين أمثال إميلي فنتهام " E. Fantham" أن بيدونيتلا فضلت الزواج من أبيلي بدلا من أحد أثرياء المدينة رغبة منها في الحفاظ على استقلاليتها وحريتها وحتى تبتعد عن الضغط الاجتماعي بمدينتها، كما أن امرأة مثلها مثقفة إن تزوجت من زوج شاب أصغر منها حصل على وظيفة فيلسوف بقرطاج سوف يجعلها تعيش عيشة رائعة وأرقى من تلك التي كانت ستعيشها إن بقيت في طرابلس (Oea) مع زوج أكبر منها سنا(D'après Briand -Ponsart, C. 2003(b) : 88, n°60) .

والملاحظ من خلال النقوش والنصب التشريفية أن المرأة الملاكة كانت مثلها مثل الرجل تساهم في بناء وتنمية المجتمع وتقدم ما بوسعها تقديمه لبلدتها

كما فعلت مرتيما "Martima" (ILALg, I, 1349) التي نعتت بدومينا "Domina" المالكة لأملاك وضيعة العرية (Saltus Bagatensis) الواقعة بين قسنطينة (Cirta) وعنونة (Thibilis) ، وقد أنشأت أسواقا بالمشاركة مع زوجها باكيوس فيكتور روفينوس " M. Pacius Victor Rufinus" وهو من عائلة فرسان خميسة (Thubursicu Numidarum) (: 2003 . Briand-Ponsart.C, (b)82).

وأما كورنيليا فالنتينا "Cornelia Valentina" من تيمقاد (Thamugadi) وزوجة بلوتيوس فوستوس "M. Plotius Faustus" المسمى سيرتيوس "Sertius" وكان "كاهنا دائما" للمدينة وفارسا (CIL, VUI, 2394 ; 17904-17905)، قامت مشاركة مع زوجها ببناء سوق للمدينة، وبناء منزل خصصا الطابق الأرضي منه لمجموعة من الدكاكين لتأجيرها والكسب منها (Briand – Ponsart, C. 2003, (b) : 87) وبنفس الوقت يساهمان في توفير العمل لمن هو بحاجة إليه، وغيرهن كثيرات ممن أمتلكن ثروات بصفة مستقلة عن أزواجهن وعائلاتهن وكن يسيرنها ويساهمن في بناء وتشييد ما تحتاج إليه المدينة من مرافق ضرورية لتنميتها، والجدير بالذكر هو أنه ليست المرأة المالكة للثروة والأراضي فقط من كانت تساهم في بناء المجتمع ببلاد المغرب وإنما أيضا الفلامينا "Flamina".

4- المرأة الفلا مينا "Flamina":

الفلامينا هي الكاهنة و لغويا بالاتينية هي زوجة الفلامينيكوس "Flaminicus" (Benoist. E, Goelzer. H. 1892 : 590) وتحصل عليه بزواجها من الكاهن، لكن في العهد الإمبراطوري الأول نجد أنه حدث تغييرا في هاته الوظيفة حيث أنه لا يتوجب على المرأة للحصول عليها أن تكون زوجة لكاهن لأنه من خلال النقوش والأنصاب التشريفية والتماثيل التي قدمت لبعض منهن في الساحات العمومية لمدنهن يثبت عكس ذلك، إذ أن البعض منهن كان أزواجهن يمارسون مهنامختلفةوبعضهن لسن متزوجات مثل الكاهنة الشابة فلافيا بكاتتا "Flavia Pacata"الكاهنة الدائمةلمستوطنة فريانة (Thelepte) وأيضا كاهنة عين العسكر (Sutunurca) وكاهنة توقة (Dougga) بتونس، وغيرهن أخريات (655: 1990.(ب),L ,ladjimi Sebai) .

ويعرف عن تلك الكاهنات أنهن ساهمن كثيرا في تطوير مدنهن، والكهانة هي من أعلى الوظائف الرسمية سواء على المستوى المحلي أو على مستوى المقاطعات التي حصلت عليها المرأة، كما كن يساهمن في خزينة المدينة،وأصبحت الكهانة تورث من الأب أو من الزوج (: 2003 , Briand Ponsart. C (b) 84) ، لكن إرثها ليس شرطا ضروريا للحصول عليها لأنه أيضا يمكن شرائها لمن تملك المال من العائلات الثرية، وكانت الفلامينا أو الكاهنة ترتدي لباسا خاصا بها يميزها عن بقية سيدات المدينة وأيضا تسريحة الشعر مختلفة (-651 : 1990. la djimi Sebai. L,(b)652) .

وقد بلغ عدد النصوص التي تتحدث عن كاهنات بلاد المغرب حوالي 68 نقيشة بين تشريفية، ونذرية مأتمية موزعة جغرافيا كما يلي:

39 بالبروقنصلية و13 بنوميديا بين قسنطينة (Cirta) وتيمقاد (Thamugadi) ، 01 بإقليم طرابلس ببوغار (Gighthis)، 06 بإقليم بيزاصينا، 03 بموريطانيا القيصرية و06 بالطنجية (Ladjimi Sebai, L,(b), 1990 : 652-653) .

أول كاهنة بالمغرب القديم كانت كاهنة قسنطينة (Cirta)، كاوليا فاليريا بوتيتا "Caelia Valeria Potita" سنة 42- 43 م ، وقد قد مت للمدينة نصبا تذكاريا عرضه مترين على الأقل (IL ALg. II, 550) ، ومنهن من أهدت لمدينتها مسرحا بقيمة 400.000 سيسترس أمثال آنيا أيليا رستيتوتا "Annia Aelia Restituta" بڤالمة (Calama) (I.L.A lg. I, 286 ; A.A.A, 9, 146, 3, p 19) ، وبعضهن كن فلامينا أو كاهنة لمجموعة من المستوطنات والمدن في آن واحد، مثل كلوديا فيتوزا تارتولينا "Clodia Vitosa Tertulina" التي كانت كاهنة لأربع مستوطنات: قسنطينة (Citra) ، ميلة (Milev)، سكيكدة (Rusicada) والقل (Chullu) (IL CIL, VIII, 18912 = ILS 6856 ; (Alg, II², 24686 .

وفي عهد الإمبراطور كلاوديوس نجد لكينيا بريسكا "Licinia prisca" بدوقة (Thugga) وهي معتوقة لكينوس روفوس "M. Licinius Rufus"، أهدت للمدينة معبدا كلفها الكثير من الأموال للآلهة: فورتونا "Fortuna"، فينوس (Vénus) وكونكورديا "Concordia"، و يبدو أنها وصلت لهاته المكانة بسبب ثروتها لأنه لا يمكن لواحدة ذات أصل وضيع مثلها أن تصل لتلك الوظيفة (Briand – Ponsart.C, (b), 2003 : 85).

في حين أهدت بوليا باولا لاينتيانا "Iulia Paula Laenatiana" نصبا لمنيرفا " Minerve " (آلهة الحكمة، الحرب الفنون والعلوم ؛ نعمة ، ح . 1994: 273؛ Commelin. P, 1994 : 29-33) ووجبة غذائية لمواطني دوقة Thugga)) وعطا يا وهدايا "Sportulae " (CIL, VIII, 26525 ; 26490 = IL Af, 522 ; 518) ؛ وهناك أخريات كان يتم شكرهن وتكريمهن من قبل مواطني مدنهن بسبب ما يقدمنه من خدمات وعطايا لمدنهن ومواطنيها كما يظهر من خلال بعض الأنصاب التشريفية و التكريمية لهن (Briand-Ponsart. C. 2003 , (b) : 85) كأنيا أيليا رستيتوتا " Annia Aeilia Restituta " (Ladjimi Sebaï.L, (b), 1990 : 669) .

5- المرأة الطبيبة:

كان الطب يمارس من قبل العبيد والمعتوقين ونادرا ما يمارس من طرف المواطنين الأحرار، حيث بلغ ثمن العبد الطبيب والأمة القابلة 60 سوليدي "Solidi" (Cod. Jus, 6, 43) ، وقد اضطر القدماء لتكوين النساء وتعليمهن الطب بسبب الأمراض النسائية المتعددة وحشمة المرأة من انكشافها أمام الرجل الطبيب خاصة ما يتعلق بالجهاز التناسلي، مما أدى لظهور طبيبات "Médicae". ومشكلة الأمراض النسائية والتوليد والولادات المتعسرة أدت أيضا لظهور وانتشار القابلات "Obstetrix"،

ويعتقد أن القابلة لم يكن يتوجب عليها أن تتلقى تعليما طبيا كما تفعل الطبيبة وإنما تبدأ كمساعدة لها بالتلقي والتدريب "Ministrae" (André. J, 1987 : 124 -127) وحسب سورانوس الأيوني "Soranos d'Ephèse" (Traité de Gynécologie : I, 4) في القرن الثاني الميلادي، كان يتوجب أن يتوفر في القابلة: "الذكاء، الذاكرة، حب العمل، السرية.... الحيوية، و أحيانا يشترط أن تكون ذات أصابع طويلة ونحيلة وأظافر مقصوصة".

ولعل عدم تعلمهن هو ما جعل أغلبهن يعتمد على الملاحظة والتتبع، وأحيانا وصف الدواء يكون ناتجا عن التجربة ويذكر بلين (Pline, H. N : XXVIII, 7, 8) أن القابلات المحنكات كن يصفن البول للحكاك، والجروح الملتهبة، وخاصة لإلتهاب الأعضاء التناسلية، ومن الغريب أن هذا الموروث لا يزال ليومنا هذا حيث تعتبر بعض الجدَّات في بعض القرى النائية وحتى في الصحراء أن البول يداوي الطفل بسرعة بعد الختان خاصة إذا ختن وهو لا يزال رضيعا فإنه يبرأ بسرعة، ويواصل بلين على أنهن كن يؤكدن أن شرب بول الماعز مخلوطا مع بعرها يشفي المرأة من الافرزات المهبلية.

كما كن لا يساعدن أو يشرفن فقط على الولادة وإنما على كل ما يتعلق بالطب النسائي، ويتدخلن في حالة العقم خاصة إذا فشل السحر في مداواة المرأة منه، وأيضا يشرفن ويتتبعن خطوات الحمل للمرأة في حالة طلاقها ويثبتن إن حدث فعلا الحمل قبل الطلاق ويبعدن عن المرأة الحامل أي امرأة حامل أخرى ، حتى لا يتم استبدال الطفل في حالة وفاته أثناء الولادة بآخر (في حالة كونه وريثا لرجل غني) ويقمن أيضا بالكشف عن النساء من العبيد اللواتي يشترين إن كن عذراوات، ويذكر سانت سيبريون "ST. Cyprien"(Cypr, Epist : 4, 4, 1) مهمة القابلة بالكشف عن العذراوات ، حيث يقول أنه لا يتم إدماج الراهبات اللواتي كن يمكثن في الكنيسة مع الشمامسة، بمجلس الأوفياء إلا إذا أفادت القابلة بشهادتها بعد فحصهن أنهن عذروات، وأيضا سانت أغسطين "St. Augustin" (Aug, Ciu : 22, 8) يذكر حادثة لفتاة فقدت عذريتها نتيجة سوء فحص القابلة المستهترة . وكانت الطبيبة تعالج النساء ، الحمى ، الجرب، الأورام الجلدية ، وعظَّات الكلاب المصابة بالكلب (André. J, 1987 : 130-131) وحتى الاضطرابات الهستيرية تماما مثلما حدث مع إيميليا بيدو نتيلا "Emelia Pudentilla" التي كانت تعاني من نوبات هستيرية، قال عنها الأطباء والقابلات أنها ناتجة عن تقلصات في الرحم، ولشفائها لا بد لها من الزواج كدواء (Apulée, Apol : 69, 2-5).

ويبدو أن ظاهرة الاضطرابات الهستيرية كانت معروفة في العهد الروماني وأن الترمل لمدة طويلة في حالات النساء الشابات، يتسبب لاحقا في خلق هاته

النوبات الهستيرية ؛ وحتى النساء كن يعرفنه جيدا ولسن محتاجات لطبيبة أو قابلة لتخبرهن به مثلما حدث لبيدونتلا التي أصبحت بعد هاته الوصفة من طبيباتها وقابلاتها زوجة لأبيلي من مداورش (Gourevitch. D, 1984 : 117 ; André. J, 1987 : 129 ; Gagé. J : 2391) وليست المصادر وحدها التي ذكرت المرأة المهتمة بالمجال الطبي ببلاد المغرب وإنما أيضا النقوش مثل نقيشة سوق أهراس (Thagaste) ، التي تتكلم عن كايليا فيكتوريا "Caelia Victoria" ، التي كانت قابلة "Obstetrix" ووصفت بأنها مدبرة "Paedagoga" (IL, Alg, I, 887 ; CIL, VIII, 1506).

وسواء كانت المرأة وثنية أو انضمت إلى الدين الجديد "المسيحية" بعد انتشارها ببلاد المغرب القديم فإنها ظلت بطابعها المميز لها، تلك المرأة الخدوم المتفانية لأجل عائلتها ومجتمعها وحتى دينها مثلما فعلت ربى "Robba" (من البنيان(Alamiliaria) قرب معسكر) وصلصا "Salsa"(مسيحية من تيبازة رميت في البحر لأنها رمت بصنم الإله في البحر) أو مونيكا "Monica" (والدة القديس أوغسطين)أو باربتيي "Perpétue" (مسيحية أعدمت مع فليكيتي "Félicité" و آخرين يوم السابع من مارس 203م. (Toutain. J, 1891 : 179؛Tertullien, Apologétique :XXXVII ,4)... اللواتي عشن وأثبتن أن المرأة لابد لها من الصمود والمواجهة وأن يتوفر فيها البعض من "صفات العذراء مريم" (Marrou, H, 1953 : 43)، وأنها ليست دوما "بوابة للشيطان" ولا المسؤولة دوما عن الذهاب نحو "الخطيئة ".

المختصرات:

AAA : Atlas Archéoloque de l'Algérie.
AE : Année Epigraphique.
ANRW : Aufstieg und Niedergang der römischen Welt.
Ant.Afr Antiquités Africaines.
Ad Uxor : Tertullianus,Ad Uxorem .
Apol. : Apulée, Apologie.
Aug.ciu. : De Ciuitate Dei contra paganos (Saint Augustin, la Cité de dieu) .
CIL.VIII : Corpus Inscriptionum latinarum , t VIII .
Cod. Theod . : Codex Theodosianus (code Théodosien) .
Cod. Iust. : Codex justinianus (code Justinien) .
De exort.Cast. : Tertullianus, De exortatione Castatis .
De Cult.Fem. : Tertullianus, De cultu Feminarum .
De Pallio : Tertullianus, De pallio .
H.N : Histoire Naturelle.
IL AF : Inscriptions Latines d'Afrique.
IL ALG.I et II : Inscriptions Latines d'Algérie I et II.
ILS : Inscriptiones Latinae Selectae.
MEFRA : Melanges de lecole française de Rome – Antiquité -

البيبلوغرافيا المعتمدة

I) المصادر :

1) النصوص الأدبية :

Apulée,(1960) , Apologie,ed.,et trd., Vallette, 2è édition .Paris : les Belles Lettres.

Pline l'Ancien ,(1848), Histoire Naturelle, livre XIII-XXXI .Collection des auteurs latins. Paris : éd., M.E .Littre.

Saint Augustin,(1855), la Cité de dieu,trad., M.Emilie Saisset, t IV.Paris .

Saint Cyprien ,(1869) ,Traités et lettres , Traduction par M. l'abbé Thibaut, Tours

Soranos d'Ephèse,(2000), Traité de Gynécologie, des maladies des femmes, éd., et trad ., P.Burguière, DGourevitch et Y.Malinas.Paris : les belles lettres. Tertullianus,(1961), Apologétique.Ed.J.P.Waltzing avec la collaboration de A.Servargns. Paris :les belles lettres.

Tertullianus,(1852),Ad Uxorem (Tome III); De Cultu Feminarum (Tome III); De Exortatione Castitatis(Tome III) ; De Pallio(Tome II) ;Œuvres de Tertullien, trad., De Genoude. E-A, 2ème édition. Paris : Louis Vivès.

2) النصوص القانونية :

Codex justinianus ,(1888) . Weidmannos. Recognavit ed,Paulus Krueger Berolinu apud

Codex Theodosianus,(1954).2ème édition.Berlin : ed.Th. Mommsen et P.Meyer

3) النقوش :

Année Epigraphique , (1992) .PUF.

Dessau.H , Inscriptiones Latinae Selectae,Berlin,1954-1955 .

Gsell.S,(1922) , Inscriptions Latines d'Algérie,Tome I, LA Proconsulaire.Paris ;Tome II : (1957), Inscriprtions de la confédération Cirtéènne , de Ciucul et de la tribu des Suburbures.Publies par Pflaum.H-G.Paris : champion.

Marlin.A,Chatelain.L, Inscriptions Latines d'Afrique .Paris,1925.

Wilmanns.G, Mommsen.Th,(1881) , Corpus Inscriptionum latinarum , VIII .Berlin,1881.

4) المعطيات الأثرية :

Gsell.Stephane,(1911), Atlas Archéoloquique de l'Algérie .Paris.

II - المراجع :

1) المراجع بالعربية :

نعمة ،حسن، (1994) ، موسوعة و أساطير الشعوب القديمة و معجم أهم المعبودات القديمة ،بيروت : دار الفكر اللبناني . أبوليوس ،لوكيوس . (2004).الحمار الذهبي ، ترجمة أبو العيد دودو ، ط 3 .بيروت :الدار العربية للعلوم.

2) المراجع بالأجنبية :

André, Jacques. (1987). Être médecin à Rome.Paris : les belles lettres

Benoist,Eugène ;Goelzer, Henri. (1917) . Nouveau dictionnaire latin – français, 11ème édition .Paris : Garnier Commelin.Pierre, (1994) . Mythologie grecque et romaine,.Paris : Pocket .

Daremberg.CHarles,Saglio.EDmond,Dictionnaire des antiquités grèques et romaines,T4.Paris : Hachette

Gourevitch.Danielle, (1984).Le Mal d'être femme, la femme et la médecine dans la Rome antique.Paris : Les Belles lettres .

Grimal.Pierre, (1988) . L'Amour à Rome .Paris : les belles lettres

Gsell.Stéphane, (1893) . Recherches archéologiques en Algérie ,Alger.

Le Bohec.Yann, (2005) .Histoire De L'Afrique Romaine ,146 Avant J.-C - 439 Après J.-C.Paris : Picard.

Madec.Goulven , (2008) . Portrait de Saint Augustin .Paris : Deschée de Brouwer

Marrou.Henri-Irénée, (1953) . L'Ideal de la virginité et la condition de la femme dans la civilisation antique,la chasteté.Paris : coll , problèmes de la religieuses d'aujourdhui

Puccini-Delbey.Géraldine,(2007) . La Vie Sexuelle à Rome. Paris : Tallandier

Robert.Jean-Noël, (1997). Eros romain .Paris : Les Belles lettres.

3) المقالات:

Briand-Ponsart.Claude(a),(2003) « Autocélébration des femmes dans les provinces d'Afrique entre privé et public », actes du colloque qui s'est tenu à Clermont Ferrand du 21 au23 nov. p.p. 171-186.

Briand-Ponsart.Claude,(b),(2003) « Les dames et la terre dans l'Afrique Romaine »,histoire et sociétés rurales.vol.19.p.p. 79-90.

Carabia.Jacqueline,(2005) « L'obéissance aux lois morales dans le monde romain », Temporalités Nº02 .p.p. 13-24.

Gagé.Jean,(1986) « Les pratiques magiques d'épiphanie royale-basiléia-et la mystique impériale aux IIè et IIIè siècle », ANRW,Nº16,II,3,pp 2382-2403.

Ladjimi Sebaï.Leïla, (a), « Saintes matrones ou dangereuses dévergondées : deux images des femmes du Maghreb à l'époque romaine », Clio,9/1999,pp 17-36.

LadjimiSebaï,Leïla .(b),(1990).« A propos du Flaminat féminin dans les provinces Africaines », MEFRA,102, 2,p .p. 651- 686.

Pavisd'Escurac,Henriette.(1974) « Pour une étude sociale de l'Apologied'Apulée »,Ant.Afr,t8.p.p. 89-101.

Toutain,Jules,(1891). « Fouilles de M.Gsell à Tipasa : La Basilique de Sainte Salsa », Mélanges d'archéologie et d'histoire, N° 11 .p.p . 179-185.

4) الرسائل الجامعية :

Hoerni,Caroline, (2008) . La représentation épigraphique des femmes dans l'Afrique romaine (1er-6ème siècle). Tome 2, Identités et perceptions sociétales, thèse de doctorat (Histoire et civilisation de l'antiquité). Université Paris-Sorbonne (Paris IV) , France .